وقائع المؤتمر الدولي الأول

لمؤسسة الإمام زين العابدين عليه السلام للبحوث والدراسات

بالتعاون مع جامعة واسط

(الأبعاد التربوية والاجتماعية في تراث الامام زين العابدين عليه السلام)

المجلد الثامن

المحور الرابع – الاخلاق والقيم

(التواضع في شخصية الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام))

م.د فايز خلف عمير

مديرية تربية محافظة واسط

المخلص

يمثل أئمة أهل البيت (عليهم السلام) المثل الأعلى والنموذج الفريد للأخلاق الحميدة والصفات الإنسانية الحسنة، ووقفنا في هذا البحث على دور التواضع في بعض جوانب حياة الإمام السجاد (عليه السلام)، الذي ظهر في عبادته وتعامله مع أبناء المجتمع بكافة أصنافهم، إذ شكل التواضع صفة ملازمة لحياته الشريفة وعاملًا مهمًا ودرسًا كبيرًا يستفاد منه في صلاح المجتمع وتقويم طريقهُ.

كلمات مفتاحية: علي بن الحسين، السجاد، زين العابدين، التواضع، التعامل الإنساني

Abstract

The Imams of the Household (peace be upon them) represent the highest example and the unique model of good morals and fine human qualities. In this research, we have discussed the role of humility in some aspects of the life of Imam Sajjad (peace be upon them), which appeared in his worship and dealings with members of society in all their categories. Humility was a characteristic that accompanied his honorable life and an important factor and a great lesson that can be benefited from in improving society and correcting its meth.

Keywords: Ali bin Al-Hussein, Al-Sajjad, Zain Al-Abidin, Humility, Humanitarian Interaction.

المقدمة

الحمد لله الّذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لملكه وهيبته، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا خير الأنام أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الكرام، وأصحابه المنتجبين الأبرار.

يمثل أئمة أهل البيت (عليهم السلام) المثل الأعلى والنموذج الفريد للأخلاق الحميدة والصفات الإنسانية الحسنة، فسيرهم العطرة تتضمن دروسًا أخلاقية جديرة أن تكون منهاجًا صحيحًا للحياة الصالحة، إذ عُرفوا بتعاملهم الإنساني الراقي مع المجتمع، وفي هذا البحث وقفنا على أحد هذه الصفات الإنسانية وهو التواضع للإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، الذي كان مصدر إشعاع وإلهام وهداية إلى الناس، فجاءت هذه الدراسة تحت عنوان (التواضع في شخصية الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام))، ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، تطلعنا للتعرف على بعض جوانب التواضع في حياة الإمام (عليه السلام) هذا الجانب المشرق من حياته وكل حياته مشرقة، الأمر الآخر حاولنا إيضاح مدى تأثير التواضع على حياة الإمام (عليه السلام) وعلى المجتمع، ومن أجل تنظيم هذه الدراسة حتى تبلغ مقاصدها، قسمنا البحث إلى محاور عدة، المحور الاول تناولنا فيه نبذة مختصرة عن حياة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، أما المحور الثاني فذكرنا فيه تواضع الإمام (عليه السلام) في مجال العبادة، وتطرقنا بالمحور الثالث إلى تواضع الإمام مع أسرته وأقاربه وموالية، وبينا في المحور الرابع تواضعه مع عامة الناس، أما الخاتمة سجلنا فيها أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها، وفي الختام لا ندعي أننا كنا ملمين في دراسة هذا الموضوع، إذ لا يمكن لبحث صغير أن يلم بكل جوانب هذا الموضوع الذي يحتاج إلى مؤلفات كبيرة، لكننا حاولنا جمع بعض الشذرات الجميلة عن هذا الموضوع وتقديمها في هذا البحث، سائلين الله العلي القدير التوفيق في ذلك.

المحور الأول ـ نبذة تعريفية عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)

اسمه ومحل وتاريخ ولادته وكنيته وألقابه: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) من بني هاشم من قريش [١]، وأما والدته فهي شهربانوا أو شاه زنان وهناك أسماء أخرى أطلقت عليها وهي من بنات يزدجر كسرى ملك الفرس [٢]، وتوفيت بعد ولادته للإمام (عليه السلام) [٣]، وظهر اختلاف حول مكان ولادة الإمام (عليه السلام) فذكر أنه ولد بالمدينة المنورة [٤]، وهناك رأي آخر ذكر أنهُ ولد في الكوفة [٥]، وهذا الرأي هو الأقرب للصواب، لأن عائلة الإمام (عليه السلام) كانت موجودة في الكوفة في هذا التاريخ [٦]، وحتى تاريخ ولادته ظهر اختلاف به، إذ ذكر أنه ولد في عام (٣٦هـ) [٧]، والرأي الآخر ذكر أنه ولد في الخامس من شهر شعبان عام (٣٨هـ) [٨]، أما كنيته فهي أبو محمد [٩]، وأبو الحسن، ولقب بألقاب عدة أشهرها السجاد، وزين العابدين، وابن الخيرتين، وذو الثفنات [١٠].

عاش الإمام (عليه السلام) مع جده أمير المؤمنين (عليه السلام) عامين، ومع عمه الحسن المجتبى (عليه السلام) عشرة أعوام، ومع والده الإمام الحسين (عليه السلام) أحد عشر عامًا [١١].

---

[١] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥/ص٢١١.
[٢] المفيد، الإرشاد، ج٢/ص١٣٧.
[٣] المسعودي، إثبات الوصية، ص١٧٠.
[٤] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٣/٣١٠.
[٥] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١/ص١٠٤.
[٦] القرشي، حياة الإمام زين العابدين(ع)، ج١/ص٣٦.
[٧] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٣/٣١٠.
[٨] المفيد، الإرشاد، ج٢/ص١٣٧.
[٩] المفيد، الإرشاد، ج٢/ص١٣٧.
[١٠] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٣/٣١٠.
[١١] المفيد، الإرشاد، ج٢/ص١٣٧.

الإمام (عليه السلام) وواقعة كربلاء: كان الإمام (عليه السلام) حاضرًا في واقعة كربلاء وشهد هذه الملحمة الخالدة في عام (٦١هـ)، لكن لم يقدر له أن يشارك بها بسبب مرضه، إلا أنهُ خاض ملحمة أخرى أشد من القتال وهي ملحمة السبي مع عماته وأخواته وأهل بيته الكرام ضد السلطة الأموية، ليتصدى للهجمة الشرسة التي شنت على ثورة والده الإمام الحسين (عليه السلام) بكل صلابة وقوة ويشكل مع عمته السيدة زينب (عليها السلام) صوت هذه الثورة المدافع فيها عن الحق، وتركت مأساة كربلاء أثرًا كبيرًا وجرحًا عميقًا في حياة الإمام (عليه السلام) بقي ينزف على آخر يوم في حياته، فكان الحزن والألم والبكاء رفيقه حتى استشهاده ليلتحق بركب أهله الطيبين [١].

إمامته واستشهاده: تولى الإمام السجاد (عليه السلام) الإمامة بعد شهادة والده الإمام الحسين (عليه السلام) من عام (٦١هـ) حتى عام (٩٥هـ) إذ استمرت أربعة وثلاثين عامًا [٢]؛ استشهد الإمام (عليه السلام) عام (٩٥هـ) وذكر أن عمره الشريف سبع وخمسون سنة ودفن في المدينة بمقبرة البقيع مع عمه الحسن المجتبى (عليه السلام) وذكر أن الخليفة

الأموي الوليد بن عبد الملك (٥٢-٩٦هـ) دس له السم [٣].

أولاده: ذكر أنّ للإمام (عليه السلام) اثنا عشر ولدًا وبنت الكل أمهاتهم إماء باستثناء الإمام محمد الباقر وأخيه عبد الله الباهر (عليه السلام)، أمهم لم تكن من الإماء فهي فاطمة بنت الحسن المجتبى (عليه السلام) [٤].

---

[١] ينظر: القرشي، حياة الإمام زين العابدين(ع)، ج١/ص١٥٣-١٨٦.
[٢] المفيد، الإرشاد، ج٢/ص١٣٧-١٣٨.
[٣] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٣/٣١١.
[٤] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٣/٣١١.

عبادته: عرف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بكثرة العبادة والطاعة، فكان يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة حتى سمي بزين العابدين [١]، وكان كثير السجود لذلك سمي بالسجاد [٢]، واتفق المسلمون على أن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) هو من أكثر الناس عبادة وطاعة إلى الله (عز وجل) ولم يرَ نظير لهُ في ذلك [٣].

طلبته: تفقه وتعلم على يديه الكثير من العلماء الذين أصبحوا من ذي الشأن الكبير، وصارت لهم مكانةً كبيرةً في الأوساط العلمية والدينية [٤].

صفاته: وصف الإمام السجاد (عليه السلام) بكثير من الصفات الحميدة التي لا يمكن حصرها وعدها، فكان يتصف بالحلم والعلم والشجاعة والصبر والسخاء والكرم وغيرها [٥].

---

[١] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦/ص٤٣٦.
[٢] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٣/٣٠٤.
[٣] ينظر: القرشي، حياة الإمام زين العابدين(ع)، ج١/ص١٨٧-١٩٣.
[٤] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٣/٣١١.
[٥] ينظر: القرشي، حياة الإمام زين العابدين(ع)، ج١/ص٧٥-١٠٠.

المحور الثاني ـ تواضع الإمام (عليه السلام) في عبادته:

قبل الخوض في مضامين التواضع عند الإمام السجاد (عليه السلام) علينا التعرف على معنى التواضع ولو بشكل موجز، **التواضع:** "هو إظهار قدرة من يتواضع له سواء كان ذا قدرة على التواضع أو لا "[١]، وذكر أنه: "هو عدم التكبر والتعاظم، أي إبعاد الذات عن الأضواء"[٢].

ويعد التواضع من الأخلاق الإسلامية السامية التي حث عليها ديننا الحنيف، وهو من نعم الله (عز وجل) على عباده وفيه رضاه، والتواضع يحصن صاحبه ويبعدهُ عن الزلل والخطأ ويضيف إليه الوقار والكرامة، ويزيد المحبة في قلوب الناس، وعامل مهم في تحقيق الراحة النفسية وصفاء الروح [٣]، وأمامنا السجاد (عليه السلام) كان إمامًا وسيدًا للتواضع، تنهل الإنسانية من فيض أخلاقه ما يروي ظمأها للأخلاق الحميدة حتى تستقيم مسيرتها ويتقوم طريقها، وهناك الكثير من الدروس والعبر التي قدمها الإمام (عليه السلام) في هذا المجال من خلال دعوته إلى على التواضع والتحلي به وجعله ميزانًا للتفاضل كما ظهر ذلك في قوله (عليه السلام): "لا حسب لقرشي ولا لعربي إلا بتواضع"[٤].

عُرفَ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بكثرة العبادة والتهجد لله (عز وجل)، حتى لقب السجاد لكثرة سجوده وبزين العابدين لكثرة عبادته [٥]، وتنوعت عباداته وما بينها الأدعية والمناجاة، ونقلت لنا الصحيفة السجادية التي تعد منظومة عبادية متكاملة، روائع خالدة لأدعية الإمام السجاد (عليه السلام) التي تبين مدى طاعته وخضوعه لله (عز وجل) والسعي إلى طلب مرضاته بأسلوب وطريقة توضح النهج القويم

---

[١] العسكري، الفروق اللغوية، ص٢٤٩.
[٢] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣/ص٢٤٥٧.
[٣] الحاج حسن، الإمام السجاد جهاد وأمجاد، ص ١٣١.
[٤] الشيخ الكليني، الكافي، ج٨/ص٢٣٤.
[٥] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٣/٣١٠.

في كيفية الدعاء والتوسل والطلب من الله (عز وجل)، كذلك تمثل هذه الأدعية ثروة فكرية كبيرة يمكن الإفادة منها في الجوانب العلمية والعقائدية وغيرها.

أما في ما يخص وضع الإمام (عليه السلام) عندما يشرع ويقرأ هذه الادعية فأنها تمثل حالة من الخشوع والخضوع لله (عز وجل)، إذ يخاطب الإمام (عليه السلام) ربه بأسلوب يتحلى بالتأدب والتواضع، فيبدأ بالحمد والثناء وذكر نعم الله (عز وجل) وفضله لينتقل بعد ذلك للصلاة على النبي محمد وآله الطاهرين (صلِ الله عليه وآله وسلم) وذكر مكانتهم وصفاتهم وبالتالي ينتقل بعد ذلك لطلب الرحمة ويسأل من الله (جل شأنه) أن يعفو ويتجاوز عنه [١]، وبالتالي يشرع بعد ذلك بوصف نفسه بصفات تدلل على روح التواضع والتذلل والطاعة والتسليم والإذعان لله (عز وجل) [٢]، بعيدًا في ذلك البعد كله عن روح التكبر والتعالي والتفاخر ويتجسد ذلك في قوله: "وسألتك مسألة الحقير الذّليل البائس الفقير الخائف المستجير؛ ومع ذلك خيفة، وتضرّعا، وتعوّذا، وتلوّذا؛ لا مستطيلا بتكبّر المتكبّرين، ولا متعاليا بدالّة المطيعين، ولا مستطيلا بشفاعة الشّافعين، وأنا بعد أقلّ الأقلّين، وأذلّ الأذلّين، ومثل الذّرّة أو دونها. فيا من لم يعاجل المسيئين، ولا ينده المترفين، ويا من يمنّ بإقالة العاثرين، ويتفضّل بإنظار الخاطئين" [٣]، وذكر العلامة نعمة الله الجزائري أن وصف الإمام (عليه السلام) لنفسه بهذه الأوصاف هي ليست واقعية، وإنما الغرض منها هو التذلل لله (عز وجل) وطاعة لهُ عندما قال: "من أن عرضهم عليهم السّلام من إظهار مثل هذا إنشاء التواضع والتذلل لجنابه تعالى لا الإخبار عما في الواقع فإنه عليه السّلام ليس أقل الأقلين ولا كالذرة" [٤]، فهذا التواضع

---

[١] ينظر: دعائه في يوم عرفه، زين العابدين، الصحيفة السجادية، ص٢١٠-٢٢٢.
[٢] مغنية، في ظلال الصحيفة السجادية، ص٥٨١.
[٣] زين العابدين، الصحيفة السجادية، ص٢٢٢.
[٤] نور الانوار في شرح الصحيفة السجادية، ص٣٣٢.

والاعتراف بالتقصير من قبل الإمام (عليه السلام) يدلل على معرفة حقيقية بالله (عز وجل) [١]، وفي الوقت نفسه يعطي دروسًا للمقصرين والمبتعدين عن الله (عز وجل) في أنْ يسلكوا منهجَ وطريقَ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لينالوا القرب من الله (عز وجل) وينقذوا أنفسهم من العذاب [٢]، وهذا النوع من التواضع هو أحد مواطن التّواضع لعظمة الخالق، وفيه عزة وكرامة ورفعة للإنسان [٣]، إذ قال رسول الله (صلِ الله عليه وآله): "إنَّ العفو لا يزيد العبد إلا عزا، فاعفوا يعزكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإنَّ الصدقةَ لا تزيد المال إلا إنماء فتصدقوا يزدكم الله" [٤].

ومن مواطن التواضع في العبادة عند الإمام (عليه السلام) الذي ظهر في قوله: "وذَلِّلْنِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وأَعِزَّنِي عِنْدَ خَلْقِكَ، وضَعْنِي إِذَا خَلَوْتُ بِكَ" [٥]، إذ طلب من الله (عز وجل) أن يكون متواضعًا وخاضعًا وذليلًا عندما يتوجه إلى عبادته، وأن لا يجد في نفسه كيان أمام عظمة الله (عز وجل) وهيبته [٦]، حتى لا يستصغر الناس ويكون قدوة لهم في التواضع والخلق الرفيع [٧].

ومن المواطن الأخرى للتواضع عند الإمام (عليه السلام) وصف نفسه بالجهل، ويقصد بذلك من لم يعمل بعلمه، أو من ارتكب المعاصي جهلًا بعظمة الله (عز وجل) [٨]، وورد ذلك في قوله: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ جَهْلِي، وأَسْتَوْهِبُكَ سُوءَ فِعْلِي، فَاضْمُمْنِي إِلَى كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلًا، واسْتُرْنِي بِسِتْرِ عَافِيَتِكَ تَفَضُّلًا" [٩]، وهنا لا يمكن القول إنَّ الإمام (عليه السلام) لم يكن يعمل بدون علم وهو من أهل بيت علم وإيمان، ولا

---

[١] مغنية، في ظلال الصحيفة السجادية، ص٥٨١.
[٢] القرشي، حياة الإمام زين العابدين(ع)، ج١/ص٢٥١.
[٣] مغنية، في ظلال الصحيفة السجادية، ص٥٨١.
[٤] ابن شاهين، الترغيب، ص٨٠.
[٥] زين العابدين، الصحيفة السجادية، ص١١١.
[٦] القرشي، حياة الإمام زين العابدين(ع)، ج١/ص٢٥٦.
[٧] مغنية، في ظلال الصحيفة السجادية، ص٥٩٦.
[٨] مغنية، في ظلال الصحيفة السجادية، ص٣٩٥.
[٩] زين العابدين، الصحيفة السجادية، ص١٤٤.

هو مرتكب للمعاصي بجهالة وحاشاه أن يكون ذلك، ويبدو أنَّ الجهل المقصود هو أمام عظمة الله (عز وجل) وقدرته.

وظهرت مواطن التواضع عند الإمام (عليه السلام) في الحمد والشكر لله (عز وجل) على نعمة وكرمه، إذ ورد في دعائه: "فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا وَقَيْتَنَا مِنَ الْبَلَاءِ، ولَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا خَوَّلْتَنَا مِنَ النَّعْمَاء حَمْداً يُخَلِّفُ حَمْدَ الْحَامِدِينَ وَرَاءَه، حَمْداً يَمْلأُ أَرْضَه وسَمَاءَه" [١].

من خلال ما طرح يظهر لنا مدى التواضع الكبير عند الإمام (عليه السلام) في مجال عبادته وكيف يعيش حالة التذلل والخضوع لله (عز وجل) فالإمام (عليه السلام) عندما يقر بالتقصير والجهل هو لم يكن كذلك، لكنه أراد وضعَ منهج واضح لتهذيب النفس وترويضها وإعطاء درس مجاني للعاصين والمذنبين عن كيفية التكفير عن ذنوبهم ومعاصيهم والتقرب إلى الله (عز وجل) حتى يغفر لهم ويرضى عنهم، ويبدو أنَّ هناك عاملًا آخر جعل الإمام (عليه السلام) يقوم بذلك وهو شعوره بمسؤولية كبيرة اتجاه ما صدر من ذنوب أو معاصي من قبل الناس، فألزم نفسه عبء ذلك وكأنه هو من قام به على الرغم من أنه لم يقم به، بل كان يرى نفسه ممثلًا عنهم، لأنه إمام الناس وزعيمهم الروحي وحامل همومهم والساعي إلى خلاصهم ونجاتهم، ويرى من واجبه الإقرار بما اقترفوه حتى يخلصهم من ذنوبهم من خلال الاعتذار نيابةً عنهم طلبًا العفو والرحمة والمغفرة من الله (عز وجل).

---

[١] زين العابدين، الصحيفة السجادية، ص١٦٠.

المحور الثالث: تواضع الإمام (عليه السلام) مع أسرته وأقاربه ومواليه

شهدت حياة الإمام السجاد (عليه السلام) تعامل إنساني مع مختلف شرائح المجتمع فكان صاحبَ خلقٍ عالٍ وتواضعٍ كبيرٍ ولا يفرق بين شخص وآخر، محاربًا بذلك أبشع الصفات الذميمة وهي التكبر والخيلاء [١]، فحظي بحب واحترام وتقدير عظيم في قلوب الناس لا سيما بين أصحابه ومحبيه، ومن ومواطن التواضع التي سجلها لنا التاريخ للإمام (عليه السلام):

تواضعه مع أسرته وأقاربه: شهدت سيرة الإمام (عليه السلام) تعامل مليًا بالتواضع والرأفة والرحمة ونكران للذات مع أسرته حتى ذكر أن: "الإمام زين العابدين عليه السلام من أرأف الناس وأبرهم وأرحمهم بأهل بيته وكان لا ينماز عنهم، بل كان كأحدهم" [٢]، ومن صور التواضع أنه يخرج من الصباح الباكر لطلب الرزق لهم حتى سئل عن سبب خروجه في هذا الوقت فأجاب قائلًا (عليه السلام): "أتصدق لعيالي من طلب الحلال، فإنه من الله عز وجل صدقة عليهم" [٣]، وكان يقول (عليه السلام): "لأن أدخل السوق ومعي دراهم ابتاع بها لعيالي لحما، وقد قرموا أحب إلي من أن أعتق نسمة" [٤]، وكان يهتم بعياله إلى حد بعيد ويجسد معنى التواضع عندما يعينهم في إنجاز حوائجهم البيتية، ولا يكلف أحدا منهم في قضاء بعض شؤونه الخاصة، فهو يتولى خدمة نفسه بنفسه لا سيما في ما يخص شؤون عبادته إذ لم يستعن بأحد في قضائها [٥]، ومن صور التواضع الأخرى التي جسدها كان (عليه السلام) يرفض أن يأكل مع أمه في صحن واحد، وعندما سئل عن سبب ذلك أجاب: "أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليها فأكون قد

---

[١] الحاج حسن، الإمام السجاد جهاد وأمجاد، ص ١٣١.
[٢] القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٤٩.
[٣] الشيخ الكليني، الكافي، ج٤/ص١٢؛ القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٥٠.
[٤] الشيخ الكليني، الكافي، ج٤/ص١٢؛ القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٤٩.
[٥] الشيخ الكليني، الكافي، ج٤/ص١٢؛ القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٤٩.

عققتها"[١]، بل أن تواضعه شمل حتى من أساءة إليه من أقاربه، إذ ذكر أن رجلاً من أقاربه تعرض له وشتمه فأعرض الإمام (عليه السلام) عنه ولم يرد عليه، وبعد ذلك توجهه (عليه السلام) إلى منزل ذلك الرجل وطرق بابه فخرج الرجل وعليه علامات الغضب والشر ظاهرةً عليه، فقام له الإمام (عليه السلام) بكل تواضع ولطف: "يا أخي، إن كنت قد قلت ما في فاستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس في فغفر الله لك"، فقام الرجل معتذرًا وقبل الإمام بين عينيه وقال: "بل قلت فيك ما ليس فيك، وأنا أحق به" [٢]، وهنا يعطي الإمام (عليه السلام) صورة مشرقة وجميلة عن طريقة تعامله مع أسرته وأقاربه يتجسد فيها التواضع بكل معانيه فهو لا يرى نفسه إلا أحدهم ولا يميز نفسه عنهم ويتعامل معهم بكل عطف ورحمة، فلم تمنعه مكانته كإمام من السعي في طلب الرزق لهم وعد هذا الأمر من الضروريات الأساسية في حياته وعلى الرغم من وجود عدد من العبيد والموالي عنده ويمكن أن يعملوا بدلًا عنه، لكنه يصر على القيام بها بنفسه وهذا دليل واضح على مدى تواضعه وبساطته، إذ يعطي الإمام (عليه السلام) من خلال ما قام به درسًا نافعًا ومفيدًا لصلاح الأسرة وديمومتها، لأن الآباء هم قدوة لأسرهم وصلاح الأسرة يعتمد إلى حد بعيد على حسن معاملتهم فما دام هناك آباء صالحون ومتواضعون يتعاملون بلطف ورحمة مع أسرهم فإن هذه الأسرة ستكون ناجحة وسعيدة، وأما من يتعامل بتعال وتميز وتسلط، فهذا الأمر يؤدي إلى تفكك ودمار الأسرة.

تواضعه مع مواليه: سار الإمام (عليه السلام) مع عبيده وإمائه سيرة تتسم بالرفق والحنان والعطف، فكان يعاملهم كأنهم أبناؤه ويغدق عليهم من البر والإحسان والمعروف ما لم يجدوه حتى عند آبائهم، هذا من جانب ومن جانب آخر أن الإمام (عليه السلام) لم يقم بمعاقبة أي شخص منهم حتى إذا اقترفَ ذنبًا [٣]،

---

[١] الشيخ الصدوق، الخصال، ص٥١٨؛ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٥/ص٢٠٤؛ القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٤٩.
[٢] الطبرسي، أعلام الورى بأعلام الهدى، ج١/ص٤٩٠.
[٣] القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٦٣.

ويتجسد هذا التعامل بصورة عدة تعبير عن روح التواضع عند الإمام (عليه السلام)، إذ ذكر أنَّه دعا أحد عبيده فلم يجبه، وكرر الدعوة إليه مرتين فلم يجبه، وفي المرة الثالثة قال لهُ بلطف ورفق: "يا بني، أما سمعت صوتي"، قال: "بلى"، قال: "فما بالك لم تجبني" قال: "أمنتك"، قال: "الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمني" [١]، ومن صور تواضعه الأخرى أن أحد إمائه أسقطت إبريق الماء على رأسه فشجته، فلم يقم الإمام (عليه السلام) بتأنيبها أو معاقبتها بل حتى أنهّ لم يعاتبها، على العكس من ذلك دار بينهم حوار لطيف كشف عن مدى تواضع الإمام (عليه السلام) وتعامله الأبوي والإنساني، إذ قالت الجارية لهُ في محاولة منها للاعتذار: "إن الله يقول: "والكاظمين الغيظ" [٢]، قال: "قد كظمت غيظي"، قالت: "والعافين عن الناس" [٣]، قال لها: "عفا الله عنك"، قالت: "والله يحب المحسنين" [٤]، قال: "اذهبي فأنت حرة" [٥]، ومن صور التواضع عند الإمام (عليه السلام) والتي تدلل على عدم وجود فوارق اجتماعية أو طبقية في تعامله معهم مواليه، زواجه بإحدى جواريه بعد أن أعتقها، محاربًا بذلك روح التكبر والخيلاء التي كان يشهدها عصره، فكانوا يعدون زواج الشخصيات المعروفة وصاحبة المكانة الكبيرة في المجتمع الإسلامي من الإماء أمر معيب ومثلبة، حتى إن عبد الملك بن مروان (٢٦-٨٦هـ) وجهَ رسالة إلى الإمام (عليه السلام) يعاتبه فيها: "أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت، والسلام"، فرد الإمام (عليه السلام) بكتاب قال فيه: "أما بعد فقد بلغني كتابك تعنفني بتزوجي مولاتي، وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر وأستنجبه في الولد، وإنه ليس فوق رسول الله "صلى الله عليه وآله" مرتقىً في مجد ولا مستزادٌ في كرم، وإنما

---

[١] المفيد، الارشاد، ج٢/ص١٤٧؛ القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٦٣.
[٢] آل عمران: آية١٣٤.
[٣] آل عمران: آية١٣٤.
[٤] آل عمران: آية١٣٤.
[٥] الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢/ص١٤٧.

كانت ملك يميني خرجتْ عن يدي بأمر التمست فيه ثواب الله تعالى، ثم ارتجعتها على سنة نبيه "صلى الله عليه وآله"، ومن كان زكياً في دين الله فليس يخلُّ به شئ من أمره، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم، فلا لؤم على امرئ مسلم، إنما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام"، فلما قرأ عبد الملك الكتاب أعطاه إلى ولده سليمان فقرأه وقال: "يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك علي بن الحسين (عليهما السلام)"، فقال: "يا بني لا تقل ذلك فإنه ألسن بني هاشم التي تفلق الصخر وتغرف من بحر إن علي بن الحسين (عليهما السلام) يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس" [١]، واستدل الإمام (عليه السلام) على عبد الملك بسنة النبي محمد (صلِ الله عليه وآله وسلم) بزواجه بصفية بنت حيي بعد عتقها وتزويجه لزيد بن حارثة بعد عتقه من ابنة عمته زينب بنت جحش [٢].

ومن أبهى صور تواضع الإمام (عليه السلام) مع موالية هي أنهُ يشتريهم ثم يشرع بتربيتهم وتعليمهم تربية إسلامية صالحة، إذ كان يجالسهم ويستمع إلى كلامهم ويبادلهم الحديث كأنهم من أفراد أسرته، وبعد مدة يحررهم ويعتق رقابهم ويوفر لهم ما يحتاجونه إليه من مستلزمات الحياة التي تحفظ كرامتهم، فينطلقوا في المجتمع وهم أشخاص صالحون [٣]، إن السمة البارزة التي تعامل بها الإمام (عليه السلام) مع موالية تمثلت بالتواضع والاحترام فهو لم يعاملهم معاملة السيد للعبد على العكس من ذلك، إذ كان (عليه السلام) يجمعهم في أواخر شهر رمضان ويطلب منهم أن يدعوا الله (عز وجل) ليغفر له وأن يعفو هم عنه فكان يقول: "قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني إليكم من سوء ملكة، فاني مليك سوء، لئيم ظالم، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل"، فيقولون: "قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت"، فيقول لهم: "قولوا: اللهم أعف عن علي بن الحسين كما عفى عنا، وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق، فيقولون

---

[١] الشيخ الكليني، الكافي، ج٥/ص٣٤٥؛ الكوراني، جواهر التاريخ، ص١٥٩-١٦٠.
[٢] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥/ص٢١٤.
[٣] الشيرازي، الإمام زين العابدين قدوة الصالحين، ص٢٩-٣٠.

ذلك"، فيقول: "اللهم آمين يا رب العالمين" [١]، وهذا العمل يمثل قمة التواضع والبساطة وفيه احترام وحفظ لكرامة الإنسان، فمن الصعب أن ترى سيدًا يطلب من مواليه أن يعفو عنه ويدعون الله (عز وجل) أن يغفر له وهم تحت ملكه تصرفه.

إن روح التسامح والتواضع التي كان عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) تدلل على روح طيبة وطاهرة ونقية لا تؤمن بالفوارق الطبقية والاجتماعية والعصبية بين الناس، فتواضعه مع عبيده وإمائه خير دليل على ذلك، والتي جاءت بنتائج مثمرة كسب من خلاله حب واحترام ومودة مواليه الذين لم يلمسوا منه الا كل خير، وفي الوقت نفسه أنشأ جيلًا من الموالي يتسم بالأخلاق العالية والعلم والمعرفة كان لهم تأثير إيجابي على المجتمع الإسلامي [٢].

---

[١] ابن طاووس، اقبال الاعمال، ج١/ص٤٤٣-٤٤٤.
[٢] الشيرازي، الإمام زين العابدين قدوة الصالحين، ص٣٠.

المحور الثالث: تواضع الإمام (عليه السلام) مع عامة الناس

لم يقتصر تعامل الإمام (عليه السلام) الإنساني على فئة معينة أو جهة دون الأخرى بل نجد تعامله هذا يشمل أغلب فئات المجتمع بدون استثناء، إذ نجده (عليه السلام) يتعامل بكل تواضع مع جيرانه، فكان أبر الناس بهم، من خلال تقديم يد العون والمساعدة إليهم لا سيما الفقراء وضعاف الحال منهم، فيقوم بعيادة مرضاهم ويشارك في تشيع موتاهم، ومن أوجه التواضع التي يمارسها الإمام (عليه السلام) مع جيرانه من الفقراء والمعوزين، قيامه شخصيًا بحمل الماء إليهم في أثناء الليل [١]، ومن كثر اهتمامه بجيرانه أنه ضمنهم في دعائه إذ ورد: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وتَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي ومَوَالِيَّ الْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا، والْمُنَابِذِينَ لأَعْدَائِنَا بِأَفْضَلِ وَلَايَتِكَ" [٢]، لذلك فإن الإمام (عليه السلام) يرسم لوحةً جميلةً في التواضع من خلال الاهتمام بجيرانه ويُسخر نفسه لمشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم ويقدم ما يحتاجون إليه من مساعدة سر وبتواضع كبير وبدون أن يشعرهم بذلك حتى يحفظ كرامتهم واحترامهم، وهذا عمل إنساني قل نظرية.

وكان (عليه السلام) محب للفقراء والمساكين واليتامى وشديد التواضع معهم ويتعامل معهم بكل عطف وحنان ويحب أن يجلس معهم ويدعوهم على مائدته ليأكلوا معه وبعض الأحيان يناولهم الطعام بيده المباركة [٣]، ومن شدة تواضعه وعطفه على الفقراء كان يحمل الحطب أو الطعام على ظهره ليوصله إلى بيوتهم [٤]، وتجلى التواضع بأجمل صورة بموقفه مع مجموعة من المرضى، إذ مر الإمام (عليه السلام) ذات

---

[١] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٤/ص١٥٤؛ القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٦٣.
[٢] الإمام زين العابدين، الصحيفة السجادية، ص١٢٤.
[٣] الصدوق، الخصال، ص٥١٨؛ القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٨٥.
[٤] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٤/ص١٥٣؛ القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٨٥.

يوم على ناس مجذومين وهو أحد الأمراض الجلدية، وكان هو صائمًا فدعوه للأكل معهم فأخبرهم أنه صائم، وبعد ذلك أمر بصنع غداء لهم في بيته ودعاهم وتناول الطعام معهم[١].

ومن صور تواضعه أيضًا (عليه السلام) أنه كان في الغالب يحرص على أن يسافر مع ناس لا يعرفونه، والسبب وراء ذلك حتى يقوم بخدم نفسه ورعاية من يسافر معه، فذكر أنه سافر مع جماعة من الناس لا يعرفونه لكن أحد الأشخاص تعرف عليه وصاح بالناس قائلًا: "ويلكم أتعرفون هذا"، فأجابوه: "لا ندري"، فقال: "هذا علي بن الحسين"، عند ذلك اجتمع الناس حوله وهم يقبلون يديه ورجليه وقالوا معتذرين: "أتريد أن تصلينا نار جهنم، بدرت منا إليك يدًا أو لسانًا أما كنا قد هلكنا آخر الدهر فما الذي يحملك على"، فأجابهم الإمام (عليه السلام): "إني كنت قد سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله (ص) ما لا أستحق فاني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب إلي"[٢]، ومن صور تواضعه الأخرى أنه (عليه السلام) إذ مر بطريق ووجد مدر أو حجر يعيق الطريق نزل من دابته وأبعده بيده [٣]، وذكر الذهبي أن الإمام (عليه السلام) إذ سار في أحد طرق المدينة لم يقل لأحد: "الطريق، وكان يقول: الطريق مشترك ليس لي أن أنحّي عنه أحدا" [٤].

لقد تجسدت في هذه النفس العظيمة جميع خصائص النبي محمد (صلِ الله عليه وآله) التي امتاز بها والتي كان من أبرزها سمو الآداب ومكارم الأخلاق، فكان تعامل الإمام السجاد (عليه السلام) الطيب والجيد مع الناس عامة والفقراء من السمات التي عرف بها (عليه السلام).

---

[١] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٤/ص١٦٣.
[٢] الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٣/ص١٥٦؛ القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٨٢.
[٣] ابن شهر اشوب، المناقب، ج٤/ص١٦٢؛ القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١/ص٨٢.
[٤] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦/ص٤٣٨.

الخاتمة

يعد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مدرسة أخلاقية وفكرية كبيرة نستلهم منهم الدروس والعبر الخالدة، والإمام السجاد (عليه السلام) يمثل نموذجًا حيًا للتعامل الإنساني والأخلاق الحميدة التي جسدها بشكل واقعي، لذا توصلنا إلى نتائج عدة في هذا البحث ومنها:

- شكل التواضع جانبًا رئيسًا في شخصية الإمام السجاد (عليه السلام)، وهو سلوك متبع من قبل آبائه وأجداده الطاهرين.
- اتخذ التواضع عند الإمام (عليه السلام) محاور متعددة وفي مقدمتها تواضعه في عبادته وطاعته لله (عز وجل) وتجسد ذلك في ادعيته، وكيف يتذلل فيها لخالقه.
- الإقرار بالتقصير والجهل من قبل الإمام (عليه السلام) في ادعيته لا تمثل في الحقيقة واقع ووضع الإمام (عليه السلام) بل هي دروس وعبر يستفاد منها العباد للتقرب إلى الله (عز وجل) والتكفير عن ذنوبهم.
- تعامل الإمام (عليه السلام) بتواضع كبير مع أسرته وأقاربه ومواليه، وضرب مثل منقطع النظير في ذلك من خلال خفض الجناح لهم والتعامل معهم بكل حنان وعطف.
- كان الإمام (عليه السلام) يحنوا على عامة الناس ويتعامل معهم بتواضع منقطع النظير لا سيما الفقراء والمساكين والمرضى منهم، ويتعامل معهم بكل ود واحترام ويحمل لهم الماء والطعام ويطعمهم بيده.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم

أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن عباس (ت: ٤١٤هـ):

١ـ البصائر والذخائر، تحقيق: وداد قاضي، ط٤، دار صادر، (بيروت ـ١٩٩٩م).

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ):

٢ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربي، (بيروت ـ١٤٠٩هـ).

زين العابدين، الإمام سيد الساجدين علي بن الحسين (عليهم السلام) (ت: ٩٥هـ):

٣ـ الصحيفة السجادية، ط١، دفتر نشر الهادي، (قم ـ ١٤١٨هـ).

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠هـ):

٤ـ الطبقات الكبرى، قدّم لها: إحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت– ١٩٦٨ م).

ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي (ت: ٣٨٥ هـ):

٥ـ الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ ٢٠٠٤م).

ابن شهر اشوب، أبي جعفر رشيد الدين محمد بن علي (ت: ٥٨٨هـ):

٦ـ المناقب، ط١، المطبعة العلمية، (قم ـ١٣٧٩هـ).

الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ):

٧ـ الخصال، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم ـ١٤٠٣هـ).

٨ـ عيون اخبار الرضا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت ـ١٩٨٣م).

ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ت: ٦٦٤هـ):

٩ـ اقبال الاعمال مضمار السبق في ميدان الصدق، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، ط١، مكتب الاعلام الإسلامي، (قم ـ ١٤١٤هـ).

الشيخ الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ):

١٠ـ أعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، (قم ـ ١٤١٧هـ).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو ٣٩٥هـ):

١١ـ الفروق اللغوية، تحقيق وتعلق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، (القاهرة د.ت)

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي العكري الدمشقي (ت: ١٠٨٩هـ):

١٢ـ شذرات الذهب، دار إحياء التراث العربي، (بيروت).

الشيخ الكليني، محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت: ٣٢٩هـ):

١٣ـ الأصول من الكافي، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، (طهران ـ١٣٦٣ش).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي (ت: ٣٤٦هـ):

١٤ـ أثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، ط٣، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر (قم ـ ٢٠٠٦م).

الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي (ت: ٤١٣ هـ):

١٥ـ الارشاد، ط٢، دار المفيد، (بيروت ـ١٩٩٣م).

المراجع

الجزائري، نعمة الله:

١٦ـ نور الانوار في شرح الصحيفة السجادية، ط١، اسيانا، (قم ـ ١٤٢٧هـ).

الحاج حسن، حسين:

١٧ـ الإمام السجاد جهاد وأمجاد، دار المرتضى، (بيروت).

الشيرازي، الإمام السيد محمد الحسيني:

١٨ـ الإمام زين العابدين قدوة الصالحين، ط١، دار صادق، (بيروت ـ٢٠٠٢م).

القرشي، باقر شريف:

١٩ـ حياة الإمام زين العابدين (ع)، ط١، دار الأضواء، (بيروت ـ ١٤٠٩هـ).

الكوراني، علي العاملي

٢٠ـ جواهر التاريخ، سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومواجهته لخطط التحريف الأموي، ط١، دار الهدى، (د.م – ١٤٢٧هـ).

مختار، احمد:

٢١ـ معجم اللغة العربية المعاصرة ط١، عالم الكتب، (بيروت ـ ٢٠٠٨م).

مغنية، محمد جواد

٢٢ـ في ظلال الصحيفة السجادية، تحقيق: سامي الغريري، ط١، دار الكتاب الإسلامي، (قم ـ١٤٢٨هـ).